دور مصر فى إفريقية
من الفتح العربى حتى نهاية عصر الولاة
٢٧ - ١٨٤ هـ / ٦٤٧ - ٨٠٠ م

د./ نريمان عبد الكريم أحمد
كلية الآداب - جامعة المنوفية

لقد تهيأت مصر بما اختصت به من مزايا، أن تتبوأ دائماً مكانة متفردة بين جيرانها ، وأن تلعب دوراً إيجابياً قد تحتم عليها طوال تاريخها ولازالت ، فهى تمثـــل أخطـــر موقـــع إستراتيجي(١)، باعتبارها حجر الزاوية فى الثلاثية القارية ، التى يتألف منها العالم القـــديم ، فهى الوحيدة ، التى تلتقى فيها قارتان وتقترب منها ثالثة ، لذلك فهى تمتاز بالموقع المركـــزى فى قلب الدنيا القديمة (٢) ، فضلاً عن أن مصر بمثابة الشريان المحورى المطلق فى الملاحة العالمية (٣) ، وبذلك يكون موقع مصر رأسمالا طبيعيا وسياسيا ، ولولا هذا الموقع البرزخى الحيـــوى لكانت مصر أقل ثقلا وثراء (٤)، كما أن بيئة مصر الفيضية قد جمعت فى تناســـب معقـــول بين حوافز النشاط وبين إمكانيات العمل ، بمعنى أن الجهد البشرى كان شرطا للتقـــدم (٥) ، لذلك إمتازت مصر بثرائها وغناها وكثرة خيراتها.

وقـــد ورد ذكـــر مصـــر فى القـــرآن الكـــريم، يؤكـــد ذلـــك قـــول تعـــالى: ((اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم)) (٦) ويقول سبحانه : ((ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون .)) (٧) كما قال تعـــالى على لسان يوسف علية السلام :((قال اجعلنى على خزائن الأرض أنى حفيظ عليم)) (٨) .

كما ذكرت بعض الأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام عن مصر منها : ((إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجنـــاد الأرض ، لأنهـــم فى رباط إلى يوم القيامة)) (٩) وقال أيضاً : ((ستفتح عليكم بعدى مصر فاســـتوصوا بقبطـــها خيراً ، فإن لكم فيهم صهراً وذمة)) (١٠) .

وقيل أيضا فى فضـــائل مصـــر : ((مـــن أراد أن ينظـــر إلى الفـــردوس ، فلينظـــر إلى أرض مصر، حين تخضر زروعها و يزهر ربيعها ، وتكسى بـــالنوار أشـــجارها وتغـــنى أطيارها)) (١١) وقيل أيضا:((بلد مصر خزانة الله)) وكذلك ((نعـــم البلد مصرا يحـــج

منها بدينارين ، ويغزى منها بدرهمين)) (١٢) وعلى ذلك كان أثر ثراء مصر واضحا فيما قامت به على التوالى من إرسال القمح إلى روما ثم بيزنطة ثم المدينة (١٣) .

وهذه المزايا السابقة قد جعلت مصر مؤهلة للقيام بدور ملحوظ عبرالتاريخ ففى الحقبة الإسلامية ، بدأت مصر تتحول إلى قاعدة إسلامية كبرى ، فعلى الرغم من أن الدولة الأموية كانت فى الشام إلا أن مصر كانت قاعدتها ومركز ثقلها ، فمعاوية بن أبى سفيان لم يهتم بشىء أثناء صراعه مع على بن أبى طالب قدر أهتمامه بانتزاع مصر (١٤) . ونفس الشىء حدث أيام عبد الملك ابن مروان ، فقد تقرر مصير المعركة بينه وبين عبد الله بن الزبير عندما استخلص مصر وتولاها أخوه وولى عهده عبد العزيز بن مروان ، وظلت مصر كذلك طوال العصر الأموى قلب هذه الدولة ، لأن مصر كانت بلدا مستقرا غنيا يمد الخلافة بأسباب الغنى والقوة (١٥) .

ولما كانت مصر هى المدخل الطبيعى وخط الإقتراب الحتمى إلى شمال أفريقيا (١٦) ، ولأنها ولدت إفريقية تشعر بالتزاماتها حيال القارة بوجه عام على مدار التاريخ ، حيث فرضت عليها الظروف أن تكون صاحبة النصيب الأكبر فى النهوض بشركائها (١٧) .

لذلك لعبت مصر دورا ملحوظا فى إفريقية ، بداية من الفتوحات حتى نهاية عصر الولاة، تمثل هذا الدور فيما أسهمت به مصر على الصعيد العسكرى والسياسى ، فقد حتمت الوضعية الجغرافية لمصر وقربها من إفريقية إتخاذ مدينة الفسطاط قاعدة لإنطلاق الحملات ومركزا سياسيا هاما ، وفيما يخص الناحية الإقتصادية ، فقد اقتصرت على تقديم الأموال ، أما عن الناحية الثقافية فقد قامت مصر بدور الوسيط ، لان مدينة الفسطاط كانت تمثل معبرا ثقافيا وواسطة بين المشرق والمغرب الإسلامى .

ومن المعلوم أنه بعد إنتهاء عمرو بن العاص من فتح مصرعام٢١هـ/٦٤١-٦٤٢م، توجه إلى فتح برقة وطرابلس لتأمين حدود مصر الغربية (١٨) ، وكان طبيعيا أن يستمر الفتح فى إفريقية ، فكتب عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى هذا الأمر لكن الخليفة لم يرض لسابق معرفته بظروف إفريقية المضطربة(١٩) ، وفى خلافه عثمان بن عفان،قام عبد الله بن سعد بن أبى السرح والى مصر بأرسال خيوله إلى إفريقية فى شكل سرايا تغير على أطراف البلاد (٢٠) وتقوم باستطلاع أحوالها معتمدا على جند مصر ، حتى قام بأول الغزوات الرسمية عام ٢٧ هـ / ٦٤٧ م ، والتى عرفت بغزوة العبادلة (٢١) ، وحوت هذه الغزوة إلى جانب القبائل التى تسكن مكة والمدينة كثيرا من أبناء القبائل العربية المستقرة

فى مصر من مهرة وميدعان و الأزد (٢٢) ، فضلاً عن بعـــض الأقبـــاط الذيـــن صحبـــوا هذا الجيش (٢٣) .

كما ضمت غزوات معاوية بن حديج الكندى بعض عشائر من جند مصـــر (٢٤) ، ونفس الشيء يقال عن حملة عقبة بن نافع عام ٥٠ هـــ / ٦٧٠م ، والتى أشترك فيها على ما يبدو عدد كبير منهم ، فعند قدوم عقبة إلى مصر قبل غزو إفريقية قال له عبد الله بن عمـــر(إياك أن تكون لعنة أرامل مصر)) (٢٥)، هذا يبين أن المشتركين فى هذه الحملة كـــانوا مـــن العرب والأقباط على السواء، إذ إنه كان يطلق على العرب المقيمين فى مصر آنذاك ((أهـــل مصر)) .

ولم يقف الأمر عند حد إشتراك جند مصر فى الحملات المتوجهة صوب إفريقية ، بـــل أن مصر أو بالأحرى مدينة الفسطاط كانت بمثابة قاعدة لانطلاق الحملات ومركزاً لتلقـــى القوات المنسحبة إليها ، لاسيما فى الحملات الأولى،فقد رجع عبد الله بن سعد إلى مصـــــر بعد أن أقام فى إفريقية سنة وشهرين (٢٦) ، كما أن الحملات التى قام بها معاوية بن حديـج كان يعود بعدها إلى مصر(٢٧) ، وكذلك زهير بن قيس الذى عاد بعد إنسحابه من إفريقيـة هو وجنده إلى مصر يلتمسون الراحة فيها (٢٨) .

كذلك كان يناط بوالى مصر قيادة الحملات ، فعلى الرغم من أن جيش العبادلة قـــد خرج من المدينة تحت قيادة الحارث بن الحكـــم،فإنـــه بعـــد وصـــول هـــذا الجيـــش إلى الفسطاط،أصبح عبد الله بن سعد قائدا له (٢٩) باعتبار أن مصر ووالياها كانا يتحملان تبعـة الفتح، صحيح أن عقبة لم يكن واليا على مصر ، لكن كان عليه بعد أن تم اختياره من قبـــل معاوية بن أبى سفيان ليقود هذه الحملـــة أن يتوجه إليها . وليـــــس معـــنى مـــرور عقبـــة على مصر ، هـــــو مجـــرد تجـــاوز الحـــدود إلى إفريقيـــة ، بـــل لأن والى مصـــر وقتئـــذ كان مسلمة بن مخلد الأنصارى الذى ولى مصر والمغرب منذ عام ٤٧ هـــــ / ٦٦٧م(٣٠) ، كما كان على عقبة أن يستقر بمصر بعض الوقت لإعداد هذا الجيش.

ولم يكن إشتراك جند مصر مقصورا على القتال ، بل كانوا يشاركون أحيانا فى وضع الخطط الحربية ، فتذكر المصادر (٣١) أن أحـــد الأقباط قد أشار على عبد الله بن ســـعد بأن يجعل للروم كمينا ويفرقهم حتى كان النصر للمسلمين ، وتم الإعتماد عليـــــهم أحيانـــاً فى تدعيم النفوذ العربى فى إفريقية فى حالة الإنسحاب ، فأغلب الظن أن معاوية بن حديج عاد إلى مصر بعد أن ترك فى طرابلس وإفريقية فرقة من جيش مصر(٣٢) ،كما كانت المراكـــب تخرج من مصر فى بعض الأحيان لتحمل أثقال الجيش وغنائمه (٣٣) .

وإذا كان هناك بعض الأسباب التى أثرت فى فتوحات إفريقية ومنها رفض الخليفة عمر بن الخطاب وظروف الخلافة نفسها فيما بعد ، وكذلك السياسة التى رسمتها الخلافة تجاه مناطق الأطراف والتى كانت تقوم على أن عملية الفتح تكون مسبوقة بفترة من الغارات الثغرية التى يتدرب فيها الجند على طبيعة البلاد والسكان (٣٤) فإن أحوال مصر السياسية أيضا قد شاركت فى تأخر هذه الفتوحات .

ويرى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (٣٥) أن هذا الأمر قد تزامن مع عمرو بن العاص معتمدا على رواية ابن عبد الحكم (٣٦) ، التى يفهم منها أن أحوال مصر الداخلية كانت تتطلب عودة عمرو سريعا ، حيث ذكر: ((فأتى عمرو كتاب المقوقس يذكر فيه أن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض ما كان بينه وبينهم)) ويضيف مع إنه يمكن الشك فى هذه الرواية إذ أن المقوقس توفى عام٢١ هـ / ٦٤٢م ، إلا إنه لاغبار عليها من حيث الموضوع ،فقد أتت ثورة الإسكندرية وغدر الروم بالعرب بعد حوالى عامين ، لكن من المعتقد أن هذه الرواية مرتبطة بفتح برقة .

وليس هناك شك فى أن أحوال مصر المضطربة أثناء الفتنة الكبرى وما أعقبها من صراع بين على ومعاوية كان له أصداء فى فتوحات إفريقية ، لاسيما أن مصر كانت مسرحا للثورة ضد الخليفة عثمان بن عفان ، وكذلك إضطراب العثمانية فيها بزعامة معاوية بن حديج، حتى أن الفتوحات توقفت ما يقرب من ثلاثة عشر عاما (٣٧).

وإذا كان دور مصر العسكرى واضحا منذ البداية ، فهذا ليس معناه تلاشى دور الخلافة، باعتبارها المسئولة عن توجيه الحملات وتبنى سياسة الفتوحات ، فالحملات الأولى لم تخرج إلا بأمر الخلافة ، كما أنه قد تم تجهيزها بالمال والسلاح وإختيار القادة .

بيد أن أحد الدارسين (٣٨) يرى ((أنه منذ غزوة عبد الله بن سعد أصبحت الخلافة تهتم مباشرة بأمر هذه البلاد وأن سلطان والى مصر لم يعد مطلقا على الجيش الأفريقى ، ويعلل تلاشى هذا الدور بعد ذلك بأن عمرو بن العاص بعد رجوعه إلى ولايته الثانية على مصر لم يقم بأى نشاط فى بلاد المغرب)) ولمناقشة هذا الرأى لابد أن نقرر أن الفتوحات الفعلية لم تبدأ إلا مع غزوة العبادلة بمعنى أن ما قام به عمرو قبل ذلك فى برقة وطرابلس كان لتأمين حدود مصر الغربية أو مجرد غارات استطلاعية على أطراف إفريقية قام بها عمرو ومن بعده عبد الله بن سعد ، أما فيما يخص ولاية عمرو الثانية والتى كانت عام ٣٨ - ٤٣ هـ / ٦٥٨ – ٦٦٣م ، فخلال هذه الفترة كان نشاط عمرو ملحوظا ، فأرسل فى عام ٤٠ هـ / ٦٦٠ م شريك بن سمى الغطيفى إلى لواتة (٣٩)، وتبع ذلك غزواته إلى مزاتة

وما تلاها من فتح غدامس عام ٤٢هـ / ٦٦٢ م ، وهوارة عام ٤٣ هـ / ٦٦٣ م (٤٠) . وانتهت هذه الغزوات فى العام الذى توفى فيه عمرو (٤١) .

صحيح أن هذه الغزوات كانت فى برقة و طرابلس ، لكنها تؤكد نشاط عمرو بن العاص خلال هذه الفترة ، كما أننا لا نستبعد إنه قد وجه معاوية بن حديج إلى إفريقية بأمر الخلافة خاصة أن غزوات ابن حديج فى عامى ٤٠ ، ٤١ هـ والتى يعتبرها البعض غزوة واحدة تقع فى ولاية عمرو الثانية لمصر (٤٢) .

و لم ينته هذا الدور العسكرى الذى قامت به مصر فى إفريقية حتى بعد إختطاط مدينة القيروان عام ٥٥ هـ / ٦٧٥ م ، تلك المدينة التى أصبحت قصبة بلاد المغرب والقاعدة الجديدة والدائمة للفتوحات من خلال ما قامت به من أعمال حربية داخل البلاد ، ومع ذلك فكان لابد من إستمرار دور مصر بسبب تفجر المقاومة البربرية فى إفريقية . ولأن والى مصر ظل مهيمناً على أحوال إفريقية ، فكان عليه أن يعتمد على القوة العسكرية الموجودة فى مصر .

ومع أن المصادر لم تشر إلى إشتراك جند مصر فى حملة حسان بن النعمان ، والتى أختلف المؤرخون فى تحديدها (٤٣) ، وهذا راجع إلى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أصدر الأمر بتكليفه بالحملة ثم أمره بالبقاء فى مصر ، فمن الراجح أن حسانا اصطحب معه أعداداً منهم إلى جانب إعتماده على جند الشام (٤٤) ، كما إشترك جند مصر فى فتوحات موسى بن نصير حتى تم إنجاز الفتح (٤٥) .

وسرعان ما تفجرت ثورات الخوارج فى بلاد المغرب فى الثلث الأول من القرن الثانى الهجرى – الثامن الميلادى ، فأنضم إلى جيش كلثوم بن عياض القشيرى ثلاثون ألفا من أهل الشام ومصر(٤٦) ، لأن الخليفة هشام بن عبد الملك كتب إلى والى كل بلد ومنها مصر أن يخرج بمن معه (٤٧). وبعد الهزيمة أرتد جند مصر مع جند إفريقية إلى القيروان (٤٨) ، و لم نسمع عنهم بعد ذلك ، فلعلهم استبعدوا مثل العرب القدامى وسرحوا فيما بعد . ومع قيام الخلافة العباسية استعان الخليفة السفاح بجند مصر لتأكيد النمط المركزى للخلافة ضد عبد الرحمن بن حبيب الذى خرج على الخلافة منذ الأمويين ، فأرسل الجيوش من مصر من خلال حملة أ بى عون عام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، والتى عززت بحملة بحرية وصلت إلى الإسكندرية في نفس العام . ولكن لم يقدر لهذا العمل العسكرى أن يستكمل بسبب وفاة الخليفة (٤٩) .

أما عن الدور السياسى الذى لعبته مصر فى إفريقية ، فمن الملاحظ أنه كان مصاحبا للدور العسكرى ، ويتضح هذا الدور فى تبعية إفريقية لحكومة الفسطاط ويطالعنا

البلاذرى(٥٠) بنص يفيد هذه التبعية المبكرة ، فيذكر : ((أن الخليفة عثمان بن عفان جعل لأبن سعد ولاية مصر والمغرب)) كما يذكر النويرى (٥١) : ((أن معاوية بن أبى سفيان أقر معاوية بن حديج على إفريقية وأفردها عن مصر)) . ويضيف الدكتور حسين مؤنس (٥٢) : ((أن معاوية أراد بعد وفاة عمرو إسترداد الحق الذى كسبه فى ولاية إفريقية واعتبرها ولاية قائمة بذاتها يولى من عنده واليا تكون صلته به مباشرة)) .

وبالنسبة لرواية البلاذرى . فحتى خلافة عثمان بن عفان ، لم يكن هناك كيان إسلامى فى إفريقية ، لأنها كانت مرحلة فتوحات لم تستقر بها الجيوش العربية بعد ، لذلك من المقبول أن الخليفة قد عهد لأبن سعد بقيادة الحملات ، ومعنى ذلك أن التبعية كانت مجرد تبعية عسكرية ، لأن الفسطاط كانت حتى ذلك الوقت قاعدة عسكرية لانطلاق السرايا والغزوات على أطراف إفريقية ، وحتى بعد خروج غزوة العبادلة ظلت الفسطاط تلعب نفس الدور .

وفيما يخص رواية النويرى ، فهل يعنى أفراد إفريقية عن مصر إنها كانت تابعة لمصر ثم رفعت تبعيتها ؟، لا نستطيع أن نؤكد ذلك ، لأن مسألة إنشاء ولاية فى إفريقية لم تكن قد طرحت بعد(٥٣) وإذا كان معاوية قد أراد أن يكافىء أحد أنصاره وهو ابن حديج ويوليه على إفريقية ، فعمرو أيضا كان له الفضل فى وصول معاوية إلى الخلافة كما أن معاوية لم يستطع أن يحافظ على مصر من أتباع على بن أبى طالب إلا بوجود عمرو فى مصر ، وكذلك كيف تكون إفريقية ولاية قائمة بذاتها مستقلة بعد تولية ابن حديج فمعنى ذلك أنها لم تكن تابعة لمصر إلا فى فترة قصيرة أنتهت بهذه التولية .

لكن إفريقية لم تكن ولاية بالمعنى المفهوم ، فعلى الرغم من أن معظم المؤرخين (٥٤) قد ذكروا فى أحايين كثيرة أشارات تؤكد بروز الولاية منذ عقبة وحتى قبله ، ومنها، ((أن مسلمة بن مخلد عزل عقبة ، وهو يؤمئذ والى البلد من قبل معاوية)) ، وكذلك عندما قدم عقبة على معاوية يشكو له ، فقال له معاوية : ((رددتك إلى عملك)) وكثيرا ما يصادفنا ولاية عقبة الأولى والثانية ، لكننا لا نستطيع أن نجزم بأن إفريقية أصبحت ولاية قائمة بذاتها ، لأن المؤرخين قد سجلوا هذه الأحداث فى فترة متأخرة ، ولم تعنيهم هذه القضية ، لأنها كانت قد استقرت ، فجاءت هذه التعابير على النحو الذى أسلفناه ، ومما يبين عدم بروز الولاية حتى عقبة ما ذكره ابن عبد الحكم (٥٥) : ((أن عقبة عندما قدم إلى مصر قال أن أمير المؤمنين يريد العقد لى على جيش إفريقية)) .

وفى الواقع برزت إفريقية كولاية منذ مسلمة بن مخلد الذى يعتبر أول من جمعت له مصر والمغرب عام ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (٥٦) وإن كان هذا فى إطار تبعيتها للفسطاط

والتى استمرت على الرغم من اختطاط مدينة القيروان ، التى مثلت السيادة العربية فى إفريقية وكذلك بعد إنشاء دار الأمارة ، فإن هذه التبعية قد استمرت لأن إفريقية حتى هذا الحين كانت قد ولدت بكيانها الإدارى فقط .

وقد اتضحت علاقة مصر بأفريقية من خلال التبعية السياسية فى إقدام والى مصر مسلمة بن مخلد على عزل عقبة بن نافع بعد نجاحه فى التوغل فى إفريقية وإحراز إنتصارات على البيزنطيين وإختطاط مدينة القيروان . ومهما قيل فى أسباب عزل عقبة من حيث خطته العسكرية أثناء فتوحاته والمجازر التى قام بها وموقفة من زعماء البربر وعدم محاولته كسبهم ، كما فعل أبو المهاجر دينار من بعده ، والذى سار على سياسة مغايرة لسياسة عقبة (٥٧) ، وكذلك سياسة التشدد التى أتبعها فى سبيل نشر الإسلام والتي جعلت الإمبراطورية البيزنطية تصدر أوامرها بمنع الاضطهاد الدينى بأفريقية حتى توجد جبهة مضادة للمسلمين (٥٨) ، فكان لابد من عزل عقبة لإحداث نوع من التوازن في البلاد ، فضلا عما قيل بشأن خوف معاوية بن أبى سفيان من محاولة عقبة الاستقلال بإفريقية ، وقد أدرك ذلك قبلا في مطامع عمرو بن العاص في مصر (٥٩) . أو لأسباب شخصية ترجع إلى مسلمة الذي أراد أن يكافئ أحد مواليه على إخلاصه (٦٠) .

ومع ذلك يظل هذا العزل أمرا يخص مسلمة وحده الذى طمع فى غنائم إفريقية وأراد أن تكون لولايته من خلال تعيين أحد مواليه ، كما يظل هذا العزل دليلا على هيمنة مصر وحكومة الفسطاط على مقدرات إفريقية السياسية ، وحسبنا دليلا على ذلك عدم اهتمام الخلافة بعزل عقبة عندما قدم على معاوية شاكيا ، وأن وعده برده إلى إفريقية ، وذلك بسبب ثقل وطأة والى مصر بإعتباره واحدا من الشخصيات البارزة فى الدولة الأموية ، فهو من كبار العثمانية ومن أنصار البيت الأموى ، الذين ساعدوا معاوية على الوصول إلى الخلافة (٦١) . لهذا لم يكن فى مقدور معاوية أن يرد عقبة ، كما أنه ليس معقولا أن يزيد قد رده إلى إفريقية وقطعها عن مصر، لكن رد عقبة تم بعد وفاة مسلمة بن مخلد عام ٦٢ هـ / ٦٨٢ م (٦٢) . ومما يدل أيضا على هذه التبعية أن أبا المهاجر بعد توليه على إفريقية وجه بالخمس مباشرة إلى مصر (٦٣) .

أما الحالة الثانية التى توضح علاقة إفريقية بحكومة الفسطاط فى إطار التبعية ، تتمثل فى عزل حسان بن النعمان ايضا عن إفريقية من قبل والى مصر عبد العزيز بن مروان عام ٨٣ هـ / ٧٠٢م(٦٤) ، على الرغم من قيام حسان بدور ملحوظ فى البلاد من حيث صد المقاومة البربرية التى تزعمتها الكاهنة وإشراك البربر بشكل فعلى فى الجيش (٦٥) ، والتسوية

بينهم فى تقسيم الأرض والفيء (٦٦) ، فضلا عن اهتمام حسان بعمران المدينة ،فقام بتجديد مسجدها الجامع(٦٧) ، ودون الدواوين وصالح البربر على الخراج (٦٨) .

ومع ذلك فقد تم عزله ، وتولية موسى بن نصير بسبب طمع والى مصر أيضا فى غنيمة إفريقية، كما يذكر المؤرخون (٦٩) ، فى حين أن السبب المباشر لهذا العزل يكمن فى مشكلة برقة ، لأن الخليفة عبد الملك بن مروان أعطاها لحسان مكافأة له ، فلما بلغ عبد العزيز ذلك حاول مع حسان أن يتركها لأنها كانت تابعة لمصر ، وأدى رفض حسان إلى قيام عبد العزيز بتمزيق العهد الذى كتبه الخليفة (٧٠) .

ومن الواضح أن هذا العزل قد إعتمد أساسا على قوة والى مصر،فهو كان أخا للخليفة عبد الملك ابن مروان وولى عهده (٧١) ، ومع أن الخليفة قد كره هذا الأمر منذ البداية وأنكره ، لكن سرعان ما وافق عليه ، ويتضح ذلك من خلال المراسلات التى تبودلت بينهما (٧٢) ، وذلك بسبب ما كان بين الأخوين فيما يخص موضوع الخلافة ، فحاول عبد الملك أن يجعل عبد العزيز يتنازل عن حقه فى الخلافة أراديا ، لذلك فقد جامله على الصعيد المغربى كنوع من التعويض (٧٣) ، والدليل على ذلك أنه أنكر ما فعله عبد العزيز وهم بعزل موسى لسوء رأيه فيه لكن رأى ألا يرد صنيع عبد العزيز.وتأكدت هذه التبعية أيضا فى إرسال موسى بن نصير بأخبار الفتح والغنائم إلى مصر (٧٤).ونتبين مما سبق أن مصر قد أستطاعت أن تلعب دورا سياسيا هاما فى إفريقية من خلال واليين لهما وزن فى الخلافة ، قد استطاعا أن يستصدرا اوامرهما بالعزل والتعيين بعيدا عن الخلافة وقد اطمئنا إلى أن الخلافة لم تستطع رد ما قاما به ، بسبب منزلتهما الكبيرة ، ومن اللافت للنظر أن الحادثتين قد تشابهتا إلى حد كبير من حيث أن كلا من عقبة وحسان قد قاما بدور هام فى الفتح ويأتى عزلهما فى فترة تألقهما وتركهما لعلامات بارزة فى البلاد وأن يحل محلهما فى كل مرة مولى تابع لوالى مصر ، وهذا ينبهنا إلى خوف والى مصر من إستحواذ عقبة ومن بعده حسان على إفريقية وهما من أسرتين عربيتين معروفتين خاصة أن إفريقية بعيدة عن أيدى الخلافة .

وإذا كان هذا الدور الذى لعبه كل من مسلمة وعبد العزيز يرجع إلى ثقل شخصية كل منهما بسبب ارتباطهما بالخلافة ، فهذا ربما لا يجعل دور مصر واضحا لكن إذا وضعنا فى الاعتبار أن هذين الواليين أو غيرهما مما تمتع بمكانة مميزة فى الخلافة ، فكان لابد أن يتولى ولاية مصر باعتبار أنها واحدة من أهم ولايات الخلافة حتى أن عمرو بن العاص قال : ((أن ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة(٧٥))) .

ويرى أحد الدارسين (٧٦) ((أن طمع عمال مصر فى ولاية المغرب أدى إلى وجـــود نزاع بينهم وبين الخلفاء ، وهذا الصراع أدى إلى تأخر شخصية المغرب الكاملة وأخذ صفـــة الولايـــة المستقلـــة ، فظلت تابعـــة للخلافة رسميـــا خاصـــة بعمـــال مصـــر،وحرصـــت الخلافة على استرداد حكم المغرب من يد عمال مصر))، ويضيف ((أنها كانت قائمة بذاتهـــا من أول الأمر لكن ولاة الفسطاط نازعوا الخلافة فيها)) .

بداية لا نستطيع أن ننكر طمع ولاة مصر فى السيطرة على إفريقية وبـــلاد المغـــرب بشكل عام . وإن كان بذلك ينفى تبعيتها لحكومة الفسطاط ، كما أن ولاة مصر لم يكونـــوا من وراء تأخر استقلال إفريقية بشئونها ، لأن ما حدث لها قد تأثر أساسا بأحوالها المضطربـــة وساعد على إستمرار تبعيتها للفسطاط ، فقد تفجرت المقاومة البربرية مع عقبة ثم حســـان ، حتى أن القيروان تم احتلالها فى المرتين ، فقـــد استطاع كسيلة أن يدخل القيروان بعد مقتـــل عقبة فى تهودة عام٦٩هـــ/٦٨٨م واستقر بها لمدة خمس سنوات (٧٧) ، وهى نفس الفـــترة التى احتلت فيها الكاهنة القيروان وكل إفريقية بعد هزيمتها لحسان بن النعمان (٧٨) ، معـــنى ذلك إنه لا يمكن أن تظهر شخصية إفريقية المستقلة إلا بعد إنجاز الفتح ، الذى تم مع موســـى بن نصير ليبدأ بعده عصرا جديدا اصطلح على تسميته بـــ ((عصر الولاة)) .

أما فيما يذكره من صراع بين الخلافة وولاة مصر حول إفريقية، فلم يكـــن صراعـــا بالمعنى المفهوم ، إنما كان حرصا من الخلافة من أجل الحفاظ على إفريقية ، لذلـــك كـــانت تصدر أوامرها إلى قادة الفتح ، فقامت بتكليف عبد الله بن سعد ومعاوية بن حديـــج كمـــا إختارت عقبة بن نافع ليستأنف الفتح وزهير بن قيس البلوى لاستنقاذ إفريقية مـــن أيـــدى البربر وحسان من بعده ، وكان لا يمنع الخلافة من التدخل الفعلى فى شئون إفريقية فى بعـــض الأحيان إلا ما كان بينها وبين والى مصر من قرب ومصالح ، لذلك أجهضت محاولات كـــل من عقبة وحسان من بعده فى الإتصال بالخلافة .

وقد تزامن ظهور شخصية إفريقية المستقلة بعد وفاة والى مصر عبد العزيز بن مـــروان عام ٨٥ هـــ / ٧٠٤ م ، حتى أن موسى بن نصير لم يعبأ بوالى مصر الجديد وهو عبد الله بن عبد الملك ، وبدأ يرسل الرسائل بأخـــــبار الفتح والغنائم والخمس إلى دمشـــق رأســـا (٧٩)، ثم قام الخليفة الوليد بن عبد الملك بـــإفراد إفريقيـــة عـــن مصـــر (٨٠) وبذلـــك أصبحت إفريقية تأخذ وضع الولاية الراشدة تتمتـــع بكافـــة الحقـــوق مثـــل الولايـــات الأخرى ومنها مصر ، وتلحق بالخلافة مباشرة (٨١) . ويعتبر البعض(٨٢) أنه بدايـــة

من عام ٩٣ هـ / ٧١١ م أصبح المغرب بصفة عامة ونظريا ولاية فى الدولة العربية الإسلامية ، تقدم الجند والعبيد وتدفع الخراج و الجزية لخزانة الخلافة .

ولنا أن نقرر أن هذه التبعية السياسية لحكومة الفسطاط والتى استمرت فترة ليست بالقصيرة ، قد ارتبطت باعتماد الخلافة على مصر فى عملية الفتح إلى جانب شخصية ولاة مصر أنفسهم وظروف إفريقية المضطربة .

ومع أن إفريقية قد أخذت وضع الولاية الراشدة ، فكان جل اعتماد الخلافة الأموية ومن بعدها العباسية على ولاة سابقين لمصر لأخماد ثورات الخوارج ، أمثال حنظلة بن صفوان ومحمد بن الأشعث الخزاعى ويزيد بن حاتم ، تم توليتهم على ولاية إفريقية ، بسبب أن هؤلاء كانوا على معرفة تامة بأحوال إفريقية ،وأخيرا كان إعتماد الخلافة العباسية على هرثمة بن أعين ، الذى ترك مصر وتولى إفريقية عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ، ليقضى على فتن الجند التى استشرت فى البلاد حتى نهاية عصر الولاة (٨٣) .

وأرتبط دور مصر فى إفريقية أيضا بالمشاركة المالية التى قامت بها منذ بداية الفتوحات ، فمن المعلوم أن مصر كانت تقوم بتجهيز الجند الخارجين إلى إفريقية بالمؤن والعتاد إلى جانب ما كانت تقدمه الخلافة (٨٤) ، ومع تقدم الفتح بدأت مصر تتحمل العبء الأكبر فى إعداد هذه الحملات ، فيذكر المؤرخون ، أنه بعد مقتل عقبة بن نافع ، ووقوع القيروان فى أيدى البربر ، قامت مصر بتقديم الأموال إلى إفريقية ، وقد أوردوا بصدد ذلك تعابير مختلفة من خلال أوامر الخليفة عبد الملك بن مروان منها أمره إلى زهير بن قيس : ((أفرغ عليهم أموال مصر)) (٨٥) وأمره إلى حسان بن النعمان : ((أنى أطلقت يدك في أموال مصر ، فأعط من معك ومن ورد عليك واخرج إلى بلاد إفريقية)) (٨٦) ، ثم تكرر الأمر مع الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذى كتب إلى والى مصر قرة بن شريك ٩٠-٩٦ هـ / ٧٠٨-٧١٤ م : ((بأن يعطى موسى بن نصير من مال مصر ما أراد)) (٨٧) .

وهذه التعابير تدل أولا:على كثرة ما كان موجودا فى خزانة مصر من أموال آنذاك ، وثانيا: الاعتماد الكبير على هذه الأموال لإتمام الفتح فى إفريقية حتى أننا نتصور أن هذه الأموال لم تكن محددة القيمة فى البداية . وثالثا : أن هذه الحرية فى الحصول على الأموال من خزانة مصر ، تجعلنا نقف على حقيقة أخرى لابد من مناقشتها من خلال ما ذكره المؤرخون(٨٨) ، فيما يخص طمع ولاة مصر فى غنائم إفريقية ، خاصة عبد العزيز بن مروان ، الذى أرسل إلى حسان بن النعمان أربعين رجلا حملوا ما عنده وأمره بالقدوم عليه ، فعلم حسان ما أراده عبد العزيز ، فخبأ ما معه من الجواهر والذهب والفضة فى قرب الماء ،

ولما قدم عليه فى مصر ، قام عبد العزيز بسلب جميع ما معه من الخيل والأحمـــال والأمتعـة والوصائف . وعلى ما يبدو أن ولاة مصر كانوا مدفوعين لذلك ليس فقط بسبب الطمـــع ، لكن أيضا كان ذلك بمثابة تعويض عما أنفقته مصر وبدون حساب خاصة أن هذه الأوامـــر الصادرة من الخلافة بفـــتح خزانة مصر لصالح إفريقية تزامن بعضها مع ولاية عبد العزيـز بن مروان على وجه الخصوص .

ثم أخذت مصر فى تقديم هذه الأموال إلى إفريقية بشكل منتظم ، وتمثلت فى الإعانـــة السنوية التى بلغت مائة ألف دينار (٨٩) . ولا نستطيع أن نحدد بداية هذه الإعانة بـالضبط ، فلعل مصر بدأت فى تقديمها خلال ثورات الخوارج ، لأن ولاة إفريقية كانوا قد حصلـوا على مغانم الذهب والفضة بعد إنجاز الفتح ، لكن السياسة المالية الجائرة ، التى أتبعها الـولاة أدت إلى تفجر هذه الثورات ، لذلك كان لابد من تقديم الأموال لولاية إفريقيـــة بشـكل منتظم ، خاصة أن هذه الثورات إستمرت ما يقرب من نصف قرن ، وبعـد فـترة قصـيرة اندلعت فتن الجند، فكان لابـــد مـــن إســتمرار هـــذه الإعانـــة ، حـــتى نهايـــة عصـــر الولاة١٨٤هـ/٨٠٠م .

لكننا لم نقف على حقيقة هذه الإعانة ومقدارها إلا بعد انتهاء عصر الولاة ، وقيـــام دولة الأغالبة ، ومن خلال قيام إبراهيم بن الأغلب ، بالتنازل عن تلك الإعانة التى تقدمـــها مصر(٩٠) ، ولعلها قد استمرت فترة من حكم الاغالبة ، فيبدو أن ابن الأغلب لم يستطع أن يفى بالتزاماته تجاه الخلافة بسبب قيام الجند بـــالثورات ومطالبتـــهم بأرزاقـــهم ، فيذكـــر البلاذرى(٩١): ((فلم يلبثوا أن أتاهم العراض والمعطون ومعهم خراج مصر)) ويفهم مـــن هذه الرواية أن هذا الجزء كان يقتطع من خراج مصر ، فهل كان يقتطع من خراجها الـذى كان يوجه إلى الخلافة أو أن هذه الأموال كانت ترسل من خزانة مصر بعد الوفاء بالتزاماتهـــا تجاه الخلافة ؟ .

وعلى ما يبدو أن الأمرين محتملان على اعتبار أن تنازل إبراهيم بن الأغلب عن هـــذه الأعانة مقابل الحصول على الولاية يجعلنا نعتقد أن هذه الأموال كانت تقتطع مـــن حصـــة الخلافة من خراج مصر ، كما أن تحمل خزانة مصر لهذه الأموال يعد أيضا أمـــرا مقبـــولا ، بسبب ما قامت به مصر قبلا من تقديم المساعدات المتوالية إلى إفريقية .

وبذلك يظل إستمرار المشاركة المالية حتى بعد إنتهاء عصر الولاة ، وقيام دولة تابعـــة للخلافة دليلا على إثبات دور مصر وقدرتها المالية و ارتباط هذا الدور بطبيعـــة الأحـــداث المتلاحقة فى إفريقية من حروب فتح وثورات خوارج وفتن جند .

وأسهمت مصر أيضا فى إنشاء أول قاعدة بحرية فى إفريقية ، وذلك بسبب الظـــروف السياسية التى طرأت على البحر المتوسط بعد إنتقال الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثـــانى إلى صقلية و اتخاذ سرقوسة عاصمة له للحفاظ على ممتلكاته فى إفريقية (٩٢) ، خاصة وأن هـــذه القاعدة قد عرقلت الفتوحات ، كما أدى فقدان العرب لقوة بحرية فى البداية إلى ترك المـــدن والحصون للبيزنطيين على الساحل (٩٣) . وما كان من نكبة عقبة بن نـــافع فى تهـــودة إلا بسبب إغفاله القوة البحرية ، وكان انسحاب زهير بن قيس بعد نجاحه فى اســـتعادة مدينـــة القيروان من كسيلة ، بسبب نزول حملة بحرية بيزنطية ، وكذلك كانت إستعانة حسان بـــن النعمان ببعض القطع البحرية الإسلامية أثر فى سقوط قرطاجنة .

لذلك كان اتخاذ قاعدة بحرية فى إفريقية أمرا محتوما ، ولم يأت مصادفة ، وعلى ذلـــك أمر الخليفة عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز بإرسال ألف قبطى بأهله وولده إلى إفريقيـــة لإنشاء دار صناعة بها(٩٦) ،وكان دور هؤلاء الأقباط واضحا فى إنشاء أســـطول إفريقيـــة لسابق معرفتهم وخبرتهم فى هذا المجال ، فكانت مصر مركزا هاما لبناء الســـفن فى العصـــر الأموى ، وسبق أن إستخدم معاوية الأقباط فى بناء الأسطول الســـورى فى عكـــا (٩٧) ، وكانت مهمة الأقباط فى إفريقية مزدوجة ، فكان عليهم حفر الميناء وبناء السفن ، فتم حفـــر ميناء تونس بحفر قناة إلى الداخل إثنى عشر ميلا (٩٨) ، لذلك يعد هذا الميناء ميناء داخليـــا، ويمثل قاعدة أمينة من خطر البيزنطيين(٩٩) ،كما كان يشارك بعض الملاحين المصريـــين فى أسطول إفريقية فى بعض الأحيان(١٠٠) .

وإذا كان ميناء تونس قد أنشىء بفضل الأقباط ، فمدينة القيروان منـــذ إختطاطـــها قد تأثرت بالعرب الوافدين عليها منذ بداية الفتح ، فعلى ما يبدو أن أهـــل القـــيروان قـــد بنوا دورهم على غرار منازل الفسطاط من حيث الموقع والطراز(١٠١) ؛ لأن القبائل الـــتى أتت إلى إفريقية منذ البداية كانت معظمها من عرب مصر ، وربما إستمر هذا التأثير بســـبب مجىء الأقباط ، الذين أتوا بأسرهم إلى إفريقية منذ حسان بن النعمان وإســـتقروا فى تونـــس وعمروها(١٠٢) ، إلى جانب التابعين الذين توالوا عليها طوال العصر الأموى مـــن مصـــر واستوطنوا القيروان (١٠٣) ، وإن كان دور هؤلاء ليس واضحا بسبب غلبة أهل الشام وأهل خراسان الذين توافدوا على أفريقية بشكل كبير خلال العصر الأموى والعباسى (١٠٤) .

ومن الملاحظ أن العلاقة بين أهل إفريقية وأهل مصر من العرب ، الذين أتوا عليـــها لم تكن علاقة تعال ، فلم يأنف منهم أهل إفريقية ،كما أنفوا من أهل الشام،وسبب ذلـــك أن هؤلاء الجند الوافدين كانوا من العرب اليمنية مثل العرب المســـتقرين فى إفريقيـــة (١٠٥) ،

بدليل إنه بعد هزيمة العرب فى بقدورة أمام الخوارج الصفرية عام ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ، سار أهل إفريقية ومعهم أهل مصر فى ناحية وأهل الشام فى ناحية (١٠٦) .

أما عن الدور الثقافى ، الذى لعبته مصر فى إفريقية ، فقد اتضح منذ البداية مع الجند الوافدين مع الحملات ، ثم تلتها مرحلة أخرى أكثر وضوحاً بعد إختطاط مدينة القيروان وما أعقبها من إنجاز الفتح ودخول البربر فى الإسلام ، الذى كان يتطلب تعليمهم أمور الدين ، ولم يكن ذلك إلا من خلال معلمين عرب ، وهؤلاء كانوا من الشرق وبصفة خاصة من مصر(١٠٧) ، فقد شملت بعثة العشرة التابعين التى أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه أهل إفريقية فى الدين عدداً منهم أمثال بكر بن سوادة الجذامى وسعيد بن مسعود التجيبى وحبان بن جبلة (١٠٨) ، وقد سكنوا مدينة القيروان ، وروى عنهم الكثيرون من أهلها (١٠٩) .

ولقد كان تأثير مدرسة الفسطاط الثقافى من خلال عدة محاور ،فلم يقتصر على الشكل الرسمى من قبل الخلافة ، بل تعداه إلى دور الأفراد باعتبار أن مدينة الفسطاط كانت تمثل فى العصر العباسى القاعدة القريبة التى يستطيع أهل إفريقية من خلالها الإطلاع على علوم المشرق ، وكذلك لأنها تعتبر أيضاً المجال الذى يجتازه أهل إفريقية فيما عرف وقتذاك بـ ((الرحلة فى طلب العلم)) فكان لابد من الوقوف بالفسطاط أثناء رحلتهم إلى المشرق بعض الوقت ، يأخذون من رجالها الأحاديث وأساليب الرد على المشاكل التى تعرض لهم ، لاسيما أن مدرسة الفسطاط قد اشتهرت بكثير من فقهاء المالكية أمثال الليث بن سعد (١١٠) ، وعبد الله بن لهيعة (١١١) ، وعبد الله بن وهب (١١٢) حتى أن كثيرا من فقهاء إفريقية المشهورين أمثال عبد الرحمن بن أنعم و على بن زياد التونسى والبهلول بن راشد كان لهم سماع من هؤلاء الفقهاء (١١٣) ، الذين كان لهم منزلة رفيعة عند أهل إفريقية (١١٤) .

كذلك أنتقل بعض المحدثين من أهل مصر وفقهائها إلى إفريقية واستقروا ببعض مدنها مثل القيروان وتونس وسمع منهم الكثيرون (١١٥) ، ومنهم زيد بن بشر الذى استوطن مدينة تونس ، وكان يفد إليه الناس من القيروان ليسمعوا له(١١٦)، كما روى أهل إفريقية الحديث عن فقهاء مصر ، بالإضافة إلى إنتشار كتب الفقهاء المصريين فى إفريقية أمثال كتب عبد الله بن وهب

ومنها ((كتاب الأهوال)) (١١٧) ((وكتاب الزهد)) لعلى بن زياد الحمصى (١١٨).

لكن بالنسبه لعلوم اللغة ، فلم نستطع أن نقف على دور مدرسة الفسطاط وذلك لأن مدرستى الكوفة والبصرة قد لعبتا دورا واضحاً فى هذا المجال ، مع بقاء دور مدرسة الفسطاط كواسطة بين المشرق والمغرب الإسلامى .

ومع أن الدور الثقافي لمصر في إفريقية خلال هذه الفترة لم يتبلور بشكل واضح، لأن المجتمع إلافريقوى كان لايزال جنيناً؛ فإن القيروان كمركز من مراكز الحضارة الإسلامية فيما بعد قد ولدت فى الفسطاط كما أنها قامت على أصول مصرية(١١٩) .

صفوة القول ، أن الدور الذى لعبته مصر فى إفريقية بداية من الفتح إلى نهاية عصر الولاة ، رغم تعدده ، إلا أنه كان فى الغالب يمثل الجانب الرسمى من خلال الإعتماد على مصر وولاتها فأصدرت الخلافة الأوامر المتتالية ليخرج أهل مصر من عرب وأقباط لتنفيذ هذه الأوامر .

الهوامش

(١) جمال حمدان،شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان ، الجزء الثانى،القـاهرة١٩٨١،ص ٧٨٧ .

(٢) نفسه ، ص ٧٨٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٨٥ وذلك بسبب ارتباطها بالمحيط الأطلسى - البحر المتوسط - البحر الأحمـر والمحيط الهندى .

(٤) نفسه ، ص ٧٨٨ .

(٥) نفسه ، ص ٤٥١ .

(٦) سورة البقرة ، آيه ٦١ .

(٧) سورة الزخرف ، آيه ٥١ .

(٨) سورة يوسف ، آيه ٥٥ .

(٩) الكندى ، فضائل مصر ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

(١٠) نفسه ، ص ٢٦ .

(١١) نفسه ، ص ٥٧ .

(١٢) نفسه ، ص ٤٦ .

(١٣) سيدة كاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٥٨ .

(١٤) حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، الطبعة الرابعة، مزيدة و منقحة القـاهرة ١٩٧٣،ص١١٣ .

أرسل معاوية عمرو بن العاص فى بداية عام ٣٨ هـ / ٦٥٨م ، ليخضع مصر التى كانت تمـدد وجوده فى الشام ، لكثرة أتباع على بن أبى طـالب فيها أنظر ، ابـن الأثـير ، الكـامل ، القاهرة ١٩٨٣ ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ . و مع فتنة عبد الله بن الزبير بعد خروج مصر عن طاعته ، لم تقف مصر على الحياد فى النـزاع الذى كان بينه وبين الخلافة . بل أرسل عبد العزيـز بـن مروان فى عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م جيشه إلى مكة لقتال ابن الزبير . انظـر . الكنـدى ، الـولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ ، ٥١.

(١٥) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(١٦) جمال حمدان ، شخصية مصر ، جـ٢ ، ص ٧٨٤ .

(١٧) حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(١٨) كانت مدينتا برقة وطرابلس تمثلان ولاية واحدة تابعـة لمصـر منـذ أيـام الإمـبراطور البيزنطىموريس ثم تم انفصالها عن مصر وظلتا حتى الفتح العربي مستقلتين وقامتا بثورات متتاليـة ضد الحكم البيزنطى وظهر فيها دويلات مستقلة متمثلة فى القبائل الموجودة بها من لواتة وهـوارة ونفوسة .

انظر، Fournel, *les Berbres*, Paris, 1895, I, pp, 217-218

(١٩) قال عمر بن الخطاب : " إنما ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادره مغدور بها لا يقربها أحد ما بقيت " انظر البلاذرى ، فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٣٢ ، ٢١٠

(٢٠) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٢١٠ .

(٢١) عرفت بذلك لاشتراك عدد من أبناء الصحابة تسموا بذلك ومنهم عبد الرحمن ابن أبى بكر وعبد الله بن عمرو وعبد اللة بن الزبير.انظر، ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ليدن ١٩٤٨ ، ١ ، ص ٩ .

(٢٢) المصدر السابق ، ٢١١ .

(٢٣) المالكى،رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية،القاهرة١٩٥١،جـ ١، ص١١.

(٢٤) النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، القاهرة ١٩٨٣ ، جـ ٢٤ ، ص١٩.

(٢٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٧ .

(٢٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(٢٧) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢٨) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢٩) نفس المصدر ، ٢١٠ .

(٣٠) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ .

(٣١) المالكى ، رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٥ .

(٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٣١ .

(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) حسن أحمد محمود ،الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣٥) تاريخ المغرب العربى، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٦٥ .

(٣٦) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٠ .

(٣٧) الحبيب الجنحانى ، القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية فى المغرب العربى ، تونس ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

(٣٨) المرجع السابق ، ١٢١ .

(٣٩) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٢ .

(٤٠) الكندى ، الولاة و القضاة ، ص ٣٢ .

(٤١) المصدر السابق .

(٤٢) سعد زغلول عبد الحميد . تاريخ المغرب ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤٣) يذكر المؤرخون تواريخ مختلفة بالنسبة لحملة حسان بن النعمان ما بين تسع وستين وثمان وسبعين انظر، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٨٨ ، ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، تونس ١٩٦٧ ، ص ٧٣ .

(٤٤) نفس المصدر .

(٤٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، القاهرة ١٩٦٠ ، جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٤٦) ابن القوطية ، تاريخ إفتتاح الأندلس ، بيروت ١٩٨٢ ، ص٤١ .

(٤٧) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تونس ١٩٦٨ ، ص ١١٢ .

(٤٨) نفس المصدر ، ١١٣.

(٤٩) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغـوب ، ص ٢٩٤ .

(٥٠) فتوح البلدان ، ص ٢٢٧ .

(٥١) نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ص ٢١ .

(٥٢) فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١١١ .

(٥٣)انظر، Hicham Djait, " La wilaya d Afiqiya au II^e -VIII^e siècles. etude institationnelle", *Studio Islamica* , tome .II ,1967 , p .70 .

(٥٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩ .

(٥٥) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٥ .

(٥٦) ابن تغرى بردى ،النحوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،القاهرة ١٩٦٣،جـ ١،ص١٣٣.

(٥٧) Julien ,*Histoire de l'Afrique du nord jusqu'à la conquête arabe* , Paris , 1951 . p . 16.

(٥٨) Marçais, G, *La Berberie Musulmane et orient au moyen âge*, Paris .1946 p . 38.

(٥٩) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٦٠) Terrasse, Henri, *Histoire du Moroc des origines à l'établissement du Protectorat Français*, Paris, 1975, p . 80.

(٦١) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٢٥ " ثم قدم عقبة على معاويـــة بـــن أبى ســـفيان فقال له " فتحت البلاد وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لى ،ثم أرسلت عبد الأنصار فأســاء عزلى ، فاعتذر إليه معاوية وقال :عرفت مكان مسلمة من الإمام المظلوم وتقديمه إياه وقيامـــة بنفسه وبذل مهجته " .

(٦٢) ابن تغرى بردى ، النحوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

(٦٣) المالكى ، رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٠ .

(٦٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧١ .

(٦٥) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ،ص ٢١. قد بدأ إشتراك البربر مع عقبة بن نـــافع وأبى المهاجر دينار ، لكنهم لم يدخلوا بشكل فعلى في الجيش الإسلامى إلا مع حسان بـــن النعمـــان ، الذى جند من أبنائهم أثنى عشر ألفا وعقد لولدى الكاهنة كل واحد على ستة آلاف فارس .

(٦٦) المالكى ، رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٦٧) البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقيـــة والمغـــرب ، بـــاريس ١٩١١،ص٢٢؛ مجـــهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ١١٤.

(٦٨) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٤ .

(٦٩) نفس المصدر ، ص ٦٦ .

(٧٠) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٧١) عين عبد العزيز بن مروان واليا على مصر من قبل أبيه مروان بن الحكم وخلفا لأخيه عبد الملك فى الخلافة ، انظر الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ١٩٧٧ ،جـ ٩ ، ص ٦١٠ .

(٧٢) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢ ٥٣ .

(٧٣) انظر، H ic ham Djait , op . cit , p . 83

(٧٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٧٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠ .

(٧٦) مؤنس ، فتوح العرب للمغرب ، ص ٢٧١ .

(٧٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٧٩) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٨٠) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ٦٨ .ولكنه يذكر أن الخليفة الوليد كتب إلى عمه عبد العزيز على مصر يأمره بأن يوجه إلى إفريقية موسى بن نصير وهذا الأمر مقبول ، لأن عبد العزيز توفى قبل عبد الملك عام ٨٥ هـ / ٧٠٤ م

(٨١) Hicham Djait, *Histoire de la Tunisie , le moyen âge, la conquête arabe et l'Emirat*, Tunis, p. 47 .

(٨٢) عبد الله العروى ، تاريخ إفريقية والمغرب ، محاولة فى التركيب بيروت ١٩٧٧ ، ص ٨٧ .

(٨٣) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٢٠٣ .

(٨٤) فتح الخليفة عثمان بن عفان بيوت السلاح للمسلمين ، كما أعان المسلمين من ماله الخاص بألف بعير يحمل عليه ضعفاء الناس ، كذلك قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان بإرسال معاوية بن حديج السكونى بجيش مكون من عشرة آلاف جندى من الصحابة والتابعين. انظر عذارى ، البيان المغرب ، جـ ،ص ٩، ١٦ .

(٨٥) المالكى ، رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٨٦) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٨٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة جـ ٢ ، ص ٦٨ .

(٨٨) الرقيق،تاريخ وإفريقية والمغرب،ص ٦٦؛ ابن عذارى،البيان المغرب،جـ ١،ص ٣٨ - ٣٩.

(٨٩) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ .

(٩٠) المصدر السابق .

(٩١) فتوح البلدان ، ص ٢٣٥ .

(٩٢) انظر، Marçais, op. cit. , p. 36.

(٩٣) أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط . القاهرة ١٩٦٠،٩٧-٩٨ .

(٩٤) نفسه .

(٩٥) نفسه ، ص ١٠٠ .

(٩٦) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٦ يختلف المؤرخون حول تاريخ انشاء ميناء تونس ودار صناعتها فترجعه بعض المصادر إلى حسان بن النعمان أو موسى بن نصير ، وحتى عبيد الله بن الحبحاب انظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة جـ٢ ،ص ٥٧ ؛ ابن حوقل صورة

(٩٦) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٦ يختلف المؤرخون حول تاريخ انشاء ميناء تونس ودار صناعتها فترجعه بعض المصادر إلى حسان بن النعمان أو موسى بن نصير ، وحتى عبيد الله بن الحبحاب انظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة جـ٢ ،ص ٥٧ ؛ ابن حوقل صورة الأرض . بيروت ١٩٦٤ ، ص ١٢٠ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٣٨ - ٣٩ و من الراجح أن إنشاءها يرجع إلى حسان لأنه تزامن مع الاضطرابات التى شغلت الإمبراطورية البيزنطية بعد عزل الإمبراطور جستنيان الثانى انظر ، أرشيبالد لويس ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٩٧) نفس المرجع ، ص ١١٦ .

(٩٨) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ن جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٩٩) المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(١٠٠) المصدر السابق. وقدم عطاء بن أبي رافع الهذلى فى مراكب أهل مصر،وكان عبد العزيز قد بعثه يريد سر دينية .

(١٠١) حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، جزءان ، تونس ١٩٦٦ جـ ١ ، ص ٤٨ .

(١٠٢) البكرى ، المغرب . ص ٣٨ - ٣٩ .

(١٠٣) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس ، تونس ١٩٦٨ ، ص ٩٢ ، حاشية ٢ .

(١٠٤) الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٢٢ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ،جـ ٢٤،ص٧٤ ،٨٥.

(١٠٥) غلب على جيش الفتح المتوجه إلى إفريقية العرب اليمنية ، كما ساعدت أحوال المشرق بعد معركة الحرة ٦٣ هـ / ٦٨٢ م على انخراط عدد كبير من أهالى المدينة فى جيش أفريقية . انظر، دوزى ، تاريخ مسلمى أسبانيا ، الجزء الأول ، ترجمة/ حسن حبشى ، ٧٥ .

(١٠٦) المصدر السابق ، ص ١١٣ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٥.

(١٠٧) الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقى من الفتح العربى حتى اليوم ،ترجمة/ عبد الرحمن بدوى ، بنغازى ١٩٦٩ ، ص٧٩ .

(١٠٨) أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٧ ؛ المالكى ، رياض النفوس،جـ ١،ص٦٤ ، ٧٥ .

(١٠٩) نفس المصدر ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(١١٠) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر فى الفقه والحديث قال عنه الشافعي:" كان الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به " توفى ١٧٥ هـ/٧٩١م . انظر، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، بيروت ١٩٧٣ ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ .

(١١١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمى الغافقى المصرى ، كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية ولى القضاء ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م وهو أول قاضى بمصر من قبل الخليفة المنصور وصرف عنه ١٦٤ هـ / ٨٧٠ م . انظر نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

(١١٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلمة القرشى بالولاء الفقيه المالكى المصرى ، صحب الإمام مالك ، توفى عام ١٩٧ م / ٨١٣ م .نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٦-٣٧.

(١١٣) أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية ، ص ١٢٦ ، ١٥٨ ، ٢٢٠ ؛ الدباغ ، معالم الإيمـــان لمعرفة أهل القيروان ،تونس ١٣٢٠ ، جـــ ١ ، ص ١٩٦ ، ٢٦٤ .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ١٨٢ .

(١١٥) نفسه ، ص ٩٢ .

(١١٦) نفسه ، ص ٢٢٦ .

(١١٧) نفسه ، ١٨٩ .

(١١٨) نفسه ، ص ١١٥ .

(١١٩) حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، ٤٤ .